الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

أبو ذر الغفاري والشيوعية





دار المعارف بمصر



أبو ذر الغفاري
و
الشيوعية



الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيّ
و
الشُّيُوعِيَّة



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. م. ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا»



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد كنت من زمن بعيد أسمع أحاديث هنا وهناك عن أبى ذر وصلته بالشيوعية ، أو بالاشتراكية ، ودعيت — منذ سنوات عدة — لرؤية تمثيلية فى التليفزيون لأبدى رأيى فيها ، فرأيت تمثيلية لا يكاد يعرف كاتبها عن الإسلام شيئاً : لقد شوهت التاريخ ، وقلبت الحقائق ، وافترت على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

وأبديت رأيى إذ ذاك فى صراحة تامة . . . . ومنع تمثيلها .

ولكنى لم أكن أقدر أنى سأتصل بأبى ذر عن قرب ، أدرسه ، وأتأمله فى حياته ، وأكتب عنه . . . ، كان ذلك بعيداً عن تفكيرى كل البعد ، . . . وكنت مخطئاً .

وشاءت المقادير أن أساق سوقاً إلى معركة مع الشيوعية بسبب كلمة عابرة ، بل أقل من عابرة إذا أمكن أن يقال ذلك ، كتبتها عن الشيوعية فكان الرد على هذه الكلمة العابرة أو الأقل من عابرة صفحات من الشتائم والسباب والتهجم على شخصى وعلى ما أمثله من مجال فى مجتمعنا الإسلامى .

وفوجئ العالم الإسلامى بهذا الهجوم واشمأز منه ، أما أثره فى نفسى فإنه لم يكن غضباً ولا ثورة ولا شتائم ولا لعنات : لقد أنزل الله على قلبى سكينة تامة ،

وغمرنى شعور بالهدوء ، وسرت فى أعمالى التى كنت مستغرقاً فيها وكأن شيئاً لم يحدث ، وكما شكا الإمام ابن مشيش رضى الله عنه ، من برد الرضا ، فقد وجدت فى صدرى برد الرضا هذا ، ولكنى لم أشك منه ، وإنما استغرقت فى تفكير مركز فى الشيوعية :

وكانت نظرة شاملة بحسب ما عندى من معلومات عنها فأرتنى أن الشيوعية تنكيل ، وتعذيب ، وقتل ، وإراقة دماء ، وسحل إذا ملكت وتحكّمت ، وهى هجوم وسباب وشتائم لإسكات الأقلام والألسنة إذا لم تكن قد وصلت إلى التحكم والسيطرة .

ورأيت بعد هذا الاستغراق فى موضوع الشيوعية الذى كان نتيجة الهجوم على : شتائم وسباباً دون مبرر . . . ، رأيت – من تاريخ الشيوعية الطويل – أنها من أعدى أعداء الإسلام ، كما أنها من أعدى أعداء المسيحية .

وتساءلت : لم سكت علماء الإسلام عنها ؟

لم سكت أحبار المسيحية عنها ؟

بل تساءلت : لم لم أكتب أنا عنها من قبل ؟

لم لم أجعل دراستى لها وبيانها للناس من منهجى فى الإصلاح ؟

لم سكتنا عنها هذه السنوات الطوال ؟ مع أنها تسوم المسلمين خسفاً وتنكيلا وتعادى الإسلام أفظع ما تكون العداوة ، وأقسى ما تكون العداوة : إنها عداوة ضارية .

لقد شغلنا الأعداء بخلافات ما كان ينبغى أن تكون بين المسلمين يشغلون أنفسهم بها ، تاركين الأعداء يهدمون الدين ، وينكلون بالمسلمين .

هل آن لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف ، وعن الكتابة فى الجبر والاختيار ، وعن حمل المسبحة : أهو بدعة ؟

وعن شد الرحال : وهل يتضمن النهى عن زيارة الأولياء أو لا يتضمنه ؟

هل آن لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الإسلام من أساسه ؟ وأن يأتى عليه من القواعد ، ويعمل جاهداً على إزالته من الوجود ؟

أرجو الله أن ينبه علماءنا الأفاضل ومفكرينا الأجلاء إلى الخطر الآتى من الغرب ، ومن الشرق ، ليتخذوا عدتهم لمقاومته .

وإن من أخطر ما يتهددنا : الشيوعية ؛ إنها تهددنا فى عقيدتنا ، وفى أخلاقنا ، وفى أموالنا ، وفى دمائنا ، ولا بد من مقاومة ذلك على الصعيد القانونى ، وعلى صعيد التوعية الشعبية والجماهيرية ؛ إن كل شخص يعلم حقيقة الشيوعية فإنه يفر منها فراره من الوباء .

وفى أثناء دراستى وبحثى الذى ساقنى إليه الشيوعيون سوقاً ما كان يخطر لى على بال ، قرأت عن أبى ذر رضى الله عنه ، قرأت عنه فى مختلف المراجع والوثائق ؛ فكان هذا الكتاب .

ودرست الشيوعية فى استفاضة ، وكانت النتيجة كتاباً آخر عن الشيوعية نفسها يبين معارضتها للإسلام ، وقد صدرته — فى استفاضة مستفيضة — بظروف وملابسات المعركة التى ساقنى إليها الشيوعيون فجأة ، وما كنت أتوقعها :

وفى أثناء البحث هنا وهناك وجدت مجموعة لا بأس بها من فتاوى العلماء الأجلاء فجمعتها ، ونسقتها ، وعلقت عليها ، وأصبحت كتاباً لا بأس به ، هو الكتاب الثالث .

وأحببت أن أجعل هذه الكتب فى حجم مناسب حتى تسهل قراءتها ، وحتى يتناول كل إنسان منها ما يناسبه . وما يزال فى الكتابة عن الشيوعية مجال مستفيض .

وأرجو الله أن يهدى بهذه الكتب وبما يتلوها وأن يهدى لها إنه سميع قريب مجيب .





الفصل الأول

أبو ذرّ والشّيوعيّة من زاويـة العقيدة





كانت « غفار » معروفة بأن من فتيانها من كان يسرق الحجيج قبل الإسلام وكان الحجاج يمرون على « غفار » فى طريقهم إلى مكة .

وما كان فتيان « غفار » يتورعون عن بعض المآثم قبل الإسلام ؛ لقد كانوا يسيرون سيرة الجاهلية التى حاربها الإسلام إلى أن حولها إلى إسلام .

وهذا هو أبو ذر – رضى الله عنه – يمتطى صهوة جواده ، ويخرج فارساً معلماً فى جنح من الليل ؛ يذهب هنا ويذهب هناك ، حتى يستقر به المقام على الطريق . كان يلبس ملابس الحرب ، ويخرج كأنه قطعة من فولاذ ، أو كأنه أسد هصور ، تسرح عيناه فى سكون الليل حتى تستقرا على سواد ، فينطلق إليه بفرسه كالسهم ، ويلتحم فى معركة ، وتتكشف المعركة عن غنيمة كبيرة : عشرات من الجمال والأغنام يستاقها أبو ذر عائداً إلى موطنه :

« كان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ، ويغير على القطيع من الجمال أو الأغنام فى عماية الصبح : على ظهر فرسه أو على قدميه ، كأنه السبع يطرق الحى ويأخذ ما أخذ » .

ولكن هذا الفارس المغير كان يحمل قلباً به شعاع من النور ، وأخذ هذا الشعاع يقوى حتى أصبح ضوءاً يغمر القلب ، ويتغلب على كل نوازع الشر فيه .

وحدث التحول :

وذات يوم . . وذات يوم انتفض أبو ذر انتفاضة من أعماقه ، انقلب فيها إلى شخصية أخرى ، شخصية بعيدة كل البعد عن الجاهلية ، شخصية لا صلة لها بماضيه . . .

وهذا النمط من التحول معروف فى الإنسانية ، ومعروف فى عالمنا الإسلامى :

ولكن انتفاضة أبى ذر لم تكن تحولا من جاهلية إلى دين معروف ، وإنما كانت – وهذا من طرافتها – تحولا من جاهلية إلى دين فطرى : إلى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، إلى خلق لا ظلم فيه ، إلى عبادة نابعة من تقديس للخالق ! كان أبو ذر يتأله فى الجاهلية ويوحد ، ولا يعبد الأصنام .

ومعنى « يتأله » : يتنسك ويتعبد .

وكان أبو ذر فى صفاء نفسه ، وفى نقاء فطرته ، يتجه إلى الله فى صدق ، يطلب نور الهداية ، والتوجه به إلى الصراط المستقيم . . وذات يوم : . . . . . وذات يوم سمع أبو ذر عن النور أشرق بمكة ، وعن الهداية انبثقت فى أرض الحرم ، وسمع بالرسالة أضاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالفضل الإلهى يشرق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فغمره السرور ، وهزه الشوق إلى المعرفة ، ولم يلبث أن أرسل أخاه إلى مكة ، واستعجله السفر ، ورغب إليه فى أن يأتيه بالخبر فى سرعة ، وأخذ ينتظر متلهفاً متشوقاً ، وجاءه أخوه ، وأعلن أن رسول الله – الرسول الجديد – يأمر بمكارم الأخلاق وقد كان هـذا حقًّا محور الدعوة الإسلامية :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وسأل أبو ذر عن موقف المشركين منه ؟ فقال له أخوه :

يقولون : هو ساحر ، ويقولون : هو كاهن ، ويقولون : هو شاعر !

ثم يقول أنيس :

لقد سمعت قول الكهنة ، وما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقوال الشعراء – وكان أنيس شاعراً – فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر . .

ثم يقول : « والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون » !

ولكن ذلك لم يرو ظمأ أبي ذر إلى المعرفة ، وغمره الشوق إلى المعرفة المباشرة بهذا الرسول الموحى إليه . . .

والتقى بالرسول :

والتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمن ، واستقر الإيمان فى أعماق قلبه واستولى على شعوره ووجدانه ، فذهب إلى الكعبة ، ورؤوس الشرك مجتمعون ، وعلى وجوههم علامات الكفر والشرك : قسوة ظاهرة ، وغلظة بادية ، وعدم مبالاة بقيم أو أخلاق أو مثل ، وابتسامة ساخرة بكل ضعيف ، ونادى أبو ذر بأعلى صوته :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » !

وفوجئ الشرك بصوت يرتفع بالتوحيد ، واعتقد المشركون أن هذه إهانة لا يمسحها إلا الدم ، فقاموا إليه ، فقاومهم ، وتكاثروا عليه ، وتنافسوا فى ضربه . . .

ولقد ضرب – كما يقول – ليموت ، وأدركه العباس ، وقال لقريش : « ويلكم تقتلون رجلا من « غفار » ، ومتجركم وممركم على « غفار » ؟ ! وتركوه ، ولكنه خرج من تحت أيديهم كأنه نصب « تمثال » أحمر . . !

ولكنه فكر من جديد بعد أن ذهب إلى زمزم واغتسل : وماذا فى مكروه يصيب الإنسان فى سبيل الله ؟

فعاد فى اليوم التالى وصرخ بأعلى صوته :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » وقاموا إليه ضرباً وإيذاء ، حتى جعلوه كأنه نصب أحمر ، وضربوه ليموت وأنقذه العباس من جديد ! !

هذا الإيمان القوى ، هذا النور المشتعل فى القلب ، هذه الثقة المطلقة فى الله ورسوله .

هذه التضحية والاستعداد للتضحية حتى الموت فى سبيل الله :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » !

ماذا يقابلها فى الجو الشيوعى ؟

لقد بدأ الكفر بالدين مع « ماركس » منذ ابتداء الشيوعية ! فقد قال ماركس كلمته المشهورة : « إن الدين أفيون الفقراء » .

أى إنه يخدرهم ويعدهم ويمنيهم ، ويتحدث إليهم عن الله ، وعن الحساب ، والنعيم فى الآخرة .

وهو من هذا الجانب عامل تخدير يتم فى الجو الاجتماعى .

ولقد تلقف « لينين » هذه الكلمة لكارل ماركس ، وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين ، إنه يقول حرفيًّا : « قال ماركس : إن الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين . . .

وتعد الماركسية الديانات جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية ، آلة لرد الفعل البرجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب « لينين » ما يلى نصًّا :

« الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ونتابع أقوال الشيوعية عن الدين :

يقول « لونا شارسكى » الذى كان وزيراً للتعليم يوماً ما فى حكومة الشيوعيين :

نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعده شر أعدائنا — وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن ما نريده

هو الكراهية والعداوة ، وحين ذلك نستطيع غزو العالم » ! !

إن تبشير المسيحية أو – بتعبير آخر – تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمة يثير الكراهية فى نفس الشيوعى : إذ أنه لا يعرف إلا الحقد والكراهية والعداوة ليستطيع – فيما يزعم – غزو العالم .

والزعيم الشيوعى لينين يعلن فى وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية بكلمات قليلة حاسمة ، إنه يقول :

« والماركسية : هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين » .

أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى سنة ١٩٢٨ فإنه يقول حرفيًّا :

« إن الحرب ضد الدين – وهو أفيون الشعوب – تشغل مكاناً هامًّا بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة »

ولا يكاد « لينين » يمل الحديث عن الأديان ووجوب تحطيمها ، إنه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة ، ولقد كتب فى يوم خطاباً للكاتب الروسى : « مكسيم جوركى » يقول فيه :

« إن البحث عن الله لا فائدة فيه ، ومن العبث البحث عن شىء لم تضعه فى مكان تخبئه فيه ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك إله : لأنك لم تزرعه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تزرع ، يخلقها البشر ، ويلدها المجتمع » . !

ومما سبق نرى :

أن الشيوعية فى العقيدة مناقضة للإسلام مناقضة تامة !

والآن نتساءل : ما هى الصلة بين أبى ذر والشيوعية ؟

والإجابة معروفة واضحة :

إنها الصلة بين الإيمان والكفر .

الصلة بين الإسلام والإلحاد !

ما نصيب الشيوعية فى أبى ذر لو علم بها ؟

إن نصيبها منه اللعنة !

وإن نصيبها منه العداوة إلى حد السيف !

وإن نصيبها منه مقت المؤمن لمن يحاد الله ورسوله !

وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟

ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .



الفصل الثاني

الزاهد


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



إننا نحبه : ونحب فيه الإيمان القوى الذى لا يخاف فى الله لومة لائم . . . .

ونحب إخلاصه الذى كان يحمله على النصيحة للظاعن والمقيم . .

ونحب حدته التى جعلت بعض الحلماء يتجنبونه : نحبها لأنها لم تكن مفتعلة ، وإنما كانت طبيعة فيه ، وكانت حدة ناشئة عن قلب طاهر ، وكانت حدة لا يتبعها شر أو سوء ، وكان إذا نبه إليها تنبه فتاب وأناب ، من ذلك مثلا ما روى عن المعرور بن سود قال :

« نزلنا الربذة ، فإذا برجل عليه برد وعلى غلامه مثله ، فقلنا : ألا عملتهما حلة لك واشتريت لغلامك غيره ، فقال : سأحدثكم :

كان بينى وبين صاحب لى كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فنلت منها ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ساببت فلاناً ؟ . . قلت : نعم . . قال : ذكرت أمه ؟ قلت : من ساب الرجال ذُكِرَ أبوه وأمه . . فقال : إنك امرؤ فيك جاهلية – وذكر الحديث – إلى أن قال : إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، ويلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه » .

ولقد كان – كما يقول الإمام الذهبى – أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . .

وكان كما يقول الذهبي أيضاً « رأساً فى الزهد والصدق والعلم والعمل ، قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، على حدة فيه » .

ونحبه لحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحبه لالتزامه فروض الإسلام ونوافله .

ونحبه لفروسيته وشجاعته . .

لقد كان إيمانه ينطلق به إلى كل معركة فى شجاعة نادرة . . . وممم يخاف وقد وهب نفسه لله ورسوله ؟ يقول الواقدى :

« كان حامل راية غفار يوم حنين : أبو ذر »

ونحب طريقة حياته من قبل النبوة ، فإن من حديثه مع عبد الله بن الصامت قوله :

« وقد صليت يا ابن أخى قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين

قلت : لمن ؟

قال : لله .

قلت : أين توجه ؟

قال : حيث وجهنى الله ، أصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفيت نفسى كأنى خفاء (ثوبى ملقى) حتى تعلونى الشمس

أما قصة إسلامه فإنها طريفة ، وعنها يقول :

« كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحديث إسلام أبى ذر – رضى الله عنه – حديث مستفيض جليل – : روته كتب السنة الموثوق بها ، أمثال البخارى ومسلم وغيرهما .

ولقد روته هذه الكتب في زواياه المختلفة ، الثرية بالعبر والمواعظ ، وذلك أنه لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه أنيس : « اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى . . . ولكن أبا ذر لم يكتف بخبر أخيه .

فقال له : هل أنت كافٍ حتى أنطلق ؟ قال : نعم ، ولكن من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنعوا له ، وتجهموا له . . .

فتزود ، وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يعرفه ، واتبع نصيحة أخيه فى ألا يسأل عنه ، وأن يحذر أهل مكة ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع لينام ، فرآه سيدنا على ، فعرف أنه غريب ، فدعاه إلى المبيت عنده ، فتبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به على فقال :

« أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟ وسار به إلى المنزل : لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، ومر اليوم الثالث على هذه الكيفية . . فلما كان فى البيت سأله على رضى الله عنه قائلاً : ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟

قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدننى فعلت ، ففعل فأخبره . .

وفى الصباح ذهبا – على حذر – إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخذ أبو ذر يستمع إلى القرآن الكريم ، فأسلم فى جلسته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » . فقال : (والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم (فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : (أشهد أن لا إله إلا الله . . وأن محمداً رسول الله) .

فقام إليه الحاضرون فاشتبكوا معه فى معركة حامية ، واستمروا به حتى رموه أرضاً ، فأتى العباس وأنقذه منهم . . ولكنه عاد فى الغد إلى مثلها ، وعادوا إلى مثل ما فعلوه . . وأنقذه من جديد العباس ، وعاد أبو ذر إلى أخيه وأعلن إسلامه ، فأسلم أخوه ، وذهبا إلى أمهما فأعلنت إسلامها ، وأخذ أبو ذر يبشر بالإسلام فى قومه ، رضى الله عنه .

. . ولقد روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جمع كثير من الصحابة ، ومن الأحاديث المشهورة الجميلة النفيسة التى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرماً فلا تظالموا . .

يا عبادى ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . .

يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . .

يا عبادى ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . .

يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم . . .

يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً . . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً . . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . . .

يا عبادى ، إنما هى أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد

خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . . .

وعنه . . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أوصانى خليلى بخمس : أرحم المساكين وأجالسهم ، وأنظر إلى من تحتى ولا أنظر إلى من فوقى ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرًّا ، وأن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله » . .

وعنه قال :

« أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع :

أمرنى بحب المساكين . . والدنو منهم ، وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى وألا أسأل أحداً شيئاً ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرًّا ، وألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنز تحت العرش » .

كان أبو ذر زاهداً جميلا ، وكان يحب للناس الخير ، فكان يدعوهم إلى الزهد حتى لا يكون حسابهم على المال ثقيلا يوم الحساب ، وذلك أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن ماله : فيم أنفقه ؟

وكان أبو ذر يحب أن يمر المسلمون على الصراط خفافاً ، وألا يكون المال عقبة فى سبيل تيسير الحساب . .

وكما أحب الخير لنفسه ، والتزم أن يختزن ما يكفيه وأسرته العام كاملا وأن يتصدق بما فضل عنده ، ويفعل ذلك كل عام ، ويقتنى أعنزاً ودواب يحلب منها ويشرب ، ويهب ويتصدق ، فإنه كان يحب ذلك لأصحابه

عن سعيد بن أبى الحسن .

أن أبا ذر كان عطاؤه أربعة آلاف ، فكان إذا أخذ عطاءه دعا خادمه فسأله أن يكفيه السنة فاشتراه ، أما باقى الأربعة آلاف فإنه كان يحولها إلى « فلوس » أى « فكة » ليست ذهباً ولا فضة . . وكانت نظرة أبى ذر فى ذلك

أنه كان يبيح لنفسه أن يدّخر (فلوساً) قروشاً وملاليم ، على حد تعبيرنا فى العصر الحاضر ليست ذهباً ولا فضة ، وإنما من معدن آخر ، وكان لا يرى فى ادخار ذلك لنفسه بأساً ، ولعله إنما كان يفعل ذلك لينفق على أكبر عدد من الفقراء .

وبلغ الزهد بأبى ذر منتهاه : فعن أسماء رضى الله عنها قالت :

« إن أبا ذر كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد وكان هو بيته » .

وحينما كان فى الشام كان هو وأبو الدرداء فى مظلتين من شعر بدمشق . .

ومر يوماً بأبى الدرداء وهو يبنى مسكناً فى أبسط صور المساكن فضاق به أبو ذر وقال له :

ما هذا ؟ . . تعمر داراً أذن الله بخرابها ؟

وقال كلاماً آخر شديداً . .

ومع أن عطاء أبى ذر كان أربعة آلاف فى العام ، وكان يقبضها ، فإنه لما مات لم يترك إلا أتانين وحماراً وأعنزاً وركائب ، كما ذكر ذلك ابن أخته ، بيد أن طريقته فى الحياة هذه كانت أحياناً لا تواتيه بما يحب ، فقد كان يقول :

أبطأت فى غزوة تبوك من عجف بعيرى . .

وعن ابن مسعود قال :

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، إن يكن فيه خير فسيلحقكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل ، يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ بعيره ، فقال ما كان يقوله ، وتلوم (أبطأ) بعير أبى ذر ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، وخرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظر ناظر فقال : إن هذا الرجل يمشى على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . . فلما تأمله القوم قالوا : هو والله أبو ذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله

أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . .

ومع قوة أبي ذر فى بدنه ، ومع فروسيته وشجاعته ، فقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً .

قال له ذلك حين طلب أبو ذر الإمارة . .

ثم نصحه صلى الله عليه وسلم قائلا :

لا تأمرّن على اثنين ، ولا تَوَلَّين مال يتيم .

ويعقب الإمام الذهبي علىَ ذلك قائلا :

« فهذا محمول على ضعف الرأى ، فإنه لو ولى مال يتيم لأنفقه كله فى سبيل الخير ولترك اليتيم فقيراً . . فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين ، والذى يتأمر على الناس يريد أن يكون فيه حلم ومداراة ، وأبو ذر رضى الله عنه كانت فيه حدة كما ذكرناه فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم . . »

ومذاهب الناس الفردية فى الحياة – ما دامت خالية من المعاصى – فإنها مباحة للأفراد كأفراد :

ومباح للأفراد كأفراد أن ينصحوا ويبينوا العظات والعبر فى محيط هذه الحياة ، سواء أخذ الناس بها أم لم يأخذوا . .

وإذا كان ذلك مذهب أبي ذر الذى يشبه – مع فارق الإيمان والتقوى – مذهب زهاد الفلاسفة فى العصور القديمة والحديثة ، والذى غايته هدوء البال والراحة فى الدنيا عند الفلاسفة ، والراحة فى الدنيا والآخرة عند أبى ذر ، فإن للأفراد – كأفراد – مذاهب أخرى ، وللإسلام جوه الواضح فيما يتعلق بشئون المال . . وسنتحدث عن ذلك إن شاء الله تعالى . ولكننا نحب أن نقول : إن أبا ذر كان ينصح ويعظ : ليقبل الناس على البذل مختارين ، وما كان يدور بخلده قط أن يقهر ويغتصب ، بل إنه لو رأى الاغتصاب والقهر لقاومه بسيفه

ولضحى فى سبيل وقفه بنفسه : فإنه ما كان يرضى بالظلم :

وإذن هو بعيد كل البعد عن كل المذاهب الحديثة ، وليس للمذاهب الحديثة فيه من نصيب اللهم إلا حينما تلفق الآراء ، وتزيف الحقائق ، وستزيد الأمر وضوحاً إن شاء الله تعالى .



الفصل الثالث

أبو ذر والنظام المالي في الإسلام



١

عن الموقف الإسلامى

وقبل أن نتحدث عن الجو المالى فى الإسلام نحب أن نقول :

١ - إن أبا ذر - رضى الله عنه - من الذين أعلنوا فى وجه الطغاة من أهل مكة إيمانهم اليقينى بالله ورسوله ، وإنهم انهالوا عليه ضرباً حتى خرج من تحت أيديهم وأرجلهم كأنه - كما يقول : - نصب أحمر - ولم يمنعه ذلك من أن يعود فى اليوم الثانى فينادى من جديد فى وجه الطغاة :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

ونال مثل ما ناله فى اليوم السابق . .

وكان على استعداد لأن يعلن بالشهادتين كل يوم فى وجه كل طاغية :

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه . . لقد كان مؤمناً .

٢ - بل لقد كان رابع الإسلام أو خامسه على اختلاف فى الرواية .

٣ - وملكت عليه شعائر الإسلام سمعه وبصره ، وشعوره وقلبه ، فكان يؤديها كما رآها آلافاً من المرات فى سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ - وكان ناصحاً لا يهدأ .

٥ - وكان زاهداً ، بل رأساً فى الزهد ، وزهده والزهد الذى كان يدعو إليه، إنما ، كان زهد المتجردين ، وزهد المتجردين هو الزهد الاختيارى : أى الزهد مع قدرة الإنسان على الكسب . . إنه زهد تحرر فيه الزاهد بمنتهى حريته من شهوات

الدنيا ، لم يجبره أحد على الزهد ، ولم يجرده أحد من مال — وزهده ، ودعوته إلى الزهد ، كل ذلك لا يمت بصلة إلى استعمال القوة والقهر فى الاستيلاء على المال . .

وموقف المسلم من أسلوب القهر والاغتصاب واضح كل الوضوح ، وعلى الرغم من مئات الأدلة والنصوص المبينة لموقف الإسلام ، فإننا نكتفى بما يلى :

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » رواه البخارى ومسلم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه طوقه من سبع أرضين » رواه أحمد

وفى رواية مسلم :

« لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله . . إلى سبع أرضين يوم القيامة » .

وروى البخارى وغيره عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » .

وعن أبى مالك الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعظم الغلول عند الله عز وجل ذراع من الأرض ، تجدون الرجلين جارين فى الأرض أو فى الدار فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً ، إذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين » ، رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى فى الكبير .

وعن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من غصب رجلا أرضاً ظلماً لقى الله وهو عليه غضبان » . رواه الطبرانى .

وعن الحكيم بن الحارث السلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين » .

رواه الطبرانى فى الكبير والصغير .

وعن أبي حميد الساعدى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا مسلم بغير طيب نفس منه ، قال : ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلمين على المسلم » . رواه ابن حيان فى صحيحه .

وما كان أبو ذر رضى الله عنه -- والأمر كذلك -- يرضى لا ، ولا قلامة ظفر أن تغتصب أرض أحد أو أن يغتصب منه شبر ، ولو حدث ذلك فى عهده لثار ثورة عارمة فيها الإخلاص ، وفيها الإرادة العازمة ، وفيها الحدة التى اتسم بها ، وذلك لأنها تخالف ما عرفه من الإسلام .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الاغتصاب ، فإننا نحب الآن أن نتابع الحديث عن بعض جوانب من الجو الإسلامى بالنسبة للمال .

وهذا الجو الإسلامى الواضح أبان عنه القرآن بلسان عربى مبين ، وطبق هذا الجو الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وذو النورين عثمان ، وفارس الإسلام وعالمه وزاهده - على - كرم الله وجهه ، والصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ، وتابعو التابعين ، وهكذا إلى اليوم .

وهذا الجو هو أن المال لله تعالى قد استخلفنا فيه وهو الذى آتانا المال : إنه المانع المعطى ، وهو الوهاب الرزاق .

وهو سبحانه الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره لمن يشاء :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . [آل عمران ٢٦ - ٢٧]

وقد وضع الله سبحانه :

١ – قواعد لكسب المال .

٢ – وقواعد لطهر المال .

٣ – وقواعد للأغنياء الذين آتاهم المال .

ونظم الأمر فى كل ما يتعلق بالمال : تجارة وزراعة وإجارة وبيعاً وشراء وكتابة للدين . . . إلخ . .

* * *

أما قواعد كسب المال فإنها تكاد تتلخص فى كلمة : الحلال : أن يكون المال حلالا لا شبهة فيه . . ولقد شدد الإسلام كثيراً فى اشتراط أن يكون الكسب من حلال .

عن ابن عباس – فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه – قال : تليت هذه الآية عند النبى – صلى الله عليه وسلم :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلاً طَيِّباً » .

فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال :

« يا سعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به . . » .

وروى أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

« يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » . . وقال : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » . .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب . . يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك . .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه » .

قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . رواه أحمد وغيره .

وعن معاذ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما تزال قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » رواه الترمذى وصححه والبيهقى . .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام

كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » . رواه البخارى ومسلم والترمذى ولفظه :

الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات لا يدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام ، كما أنه من يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه .

وفى رواية لأبى داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، وسأضرب لكم فى ذلك مثلا إن الله حمى حمى ، وإن حمى الله ما حرم ، وإنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطه ، وإن من يخالط الريبة يوشك أن يخسر » .

ومما يتصل بذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله عز وجل : « ويل للمطففين » فأحسنوا الكيل بعد ذلك . رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقى .

ومما يتصل بذلك أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وأخذ المسلمون فى إطار المبادئ الإسلامية يعملون فى جد لكسب العيش ، ولاستثمار المال : كانوا يتاجرون ويزرعون ويسافرون بالتجارة هنا وهناك ، أو يرسلون من يقوم عنهم بالتجارة فى أموالهم .

ومن المعروف أن المهاجرين أتوا إلى المدينة وليس فى أيديهم شيء من المال . . .

وحينما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين عرض الأنصار على المهاجرين أن يتقاسموا الأموال ، فعف المهاجرون فى كرامة كريمة وشكر صادق ، عن هذا العرض ، وأخذوا يعملون مباشرة فى كسب عيشهم ونذكر كمثال مايلى :

روى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال :

« لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها ، فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لى فى ذلك هل من سوق فيه تجارة ؟ قال : سوق بنى قينقاع . . فغدا إليه عبد الرحمن بأقط (لبن جامد) وسمن ، ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجت ؟ قال : نعم . قال : « ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار . قال : « كم سقت ؟ » قال : زنة نواة من ذهب – أو نواة من ذهب . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أو لم ولو بشاة » .

أخذ المسلمون يعملون فى كسب المال تحت سمع الرسول صلى الله عليه وسلم وبصره ، وأثرى الكثير منهم ثراء عظيما ، فلم ينههم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الازدياد ولم يأمرهم بالوقوف عند حد فى التجارة والكسب .

ولقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة هم :

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . . .

وإذا نظرت إلى هؤلاء العشرة نظرة متأنية رأيت أنهم لم يكونوا جميعاً من

الفقراء ، ولم يكونوا جميعاً من الأغنياء ، ولم يكونوا جميعاً من متوسطى الحال ، وإنما كان منهم الغنى ومنهم الفقير والمتوسط .

ولكن هذه النظرة تبين أمرين سافرين :

١ – التقوى : والله سبحانه وتعالى يقول :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » .

والتقى هو المحافظ على حدود الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ونظاماً للمجتمع .

٢ – الجهاد : الجهاد بجميع ضروبه :

(ا) جهاد النفس لتتزكى .

(ب) جهاد الأسرة لتستقيم ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

(حـ) الجهاد فى المجتمع حتى يقوم على أمر الله عقيدة وشريعة ، وأخلاقاً ونظاماً اجتماعياً .

ولكن الأمر ، فيما يتعلق بصلة العشرة المبشرين بالجنة بالمال ، ما زال فى حاجة إلى إيضاح ، ومن أجل ذلك نكتب الفصل التالى حتى نرفع الالتباس الذى وقع فيه بعض من لا يفقهون .

٢

المجتمع الإسلامى والمال

ولزيادة وضوح الأمر فى بيان الجو الإسلامى بالنسبة للمال نحب أن نتحدث عن شخصيتين من العشرة المبشرين بالجنة ، أما أولهما فهو :

* **البليونير الصالح عبد الرحمن بن عوف :**

أحد العشرة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدريين ، وأحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام . .

ومن مناقبه رضى الله عنه :

أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة .

وأنه من أهل بدر الذين قيل فيهم : اعملوا ما شئتم .

ومن أهل هذه الآية :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً » . .

[الفتح ١٨ ، ١٩]

وقد صلى صلى الله عليه وسلم وراءه :

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى بالناس ، فأراد عبد الرحمن أن يتأخر ، فأومأ إليه أن مكانك ، فصلى وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته » .

وعن عمرو بن وهب الثقفى قال :

كنا مع المغيرة بن شعبة ، فسئل : هل أم النبى صلى الله عليه وسلم أحد من هذه الأمة غير أبى بكر ؟ فقال : نعم ، فذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على خفيه وعمامته ، وأنه صلى خلف عبد الرحمن بن عوف وأنا معه ركعة من الصبح ، وقضينا الركعة التى سبقتنا . .

يقول الإمام الذهبى :

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فنهض فى ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبى وقاص .

ويروى عن عبدالله بن دينار عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن عوف ممن يفتى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن بن عوف هذا كان من أصحاب الملايين رضى الله عنه :

ماذا فعل فى ملايينه هذه ؟

فى يوم من الأيام قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت سمع لأهل المدينة رجة ، وتحدث الناس بها هنا وهناك ، وكان منظر الرواحل مثيراً ، ولما عرف ذلك عبد الرحمن تبرع بها جميعها : الرواحل وما حملت ، فى سبيل الله . .

وقائمة تبرعاته لا تكاد تحصى :

منها أنه تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف ماله ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار . .

وحمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله .

ثم حمل على خمسمائة راحلة فى سبيل الله .

هذا بعض ما تبرع به عبد الرحمن بن عوف فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى أخذ عبد الرحمن يتبرع تباعاً بنسبة زيادة ماله . .

وكان يخصص جزءاً من ماله كل عام لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول المسور رضى الله عنه :

فلما أتيت عائشة بنصيبها قالت : من أرسل بهذا ؟

قلت : عبد الرحمن .

قالت : أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يحنو عليكن بعدى إلا الصابرون ، سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة » . .

ولقد أوصى عبد الرحمن لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديقة قومت بأربعمائة ألفاً . .

ووصل الأمر بكرم عبد الرحمن بن عوف أنه كانت صلاته وهباته تستغرق ثلث أهل المدينة . .

وكان يقضى ديون ذوى الديون ، وكان يقرض المحتاجين قرضاً حسناً ، وكان يصل فى سخاء ذوى رحمة من الأقارب الأقربين ، ومن ذوى القربى البعيدين ، وكان يعم كرمه جميع أفراد عشيرته المحتاجين . .

أما الشخصية الثانية التى نحب أن نقول عنها كلمة فإنها شخصية :

* الزاهد الصالح أبى عبيدة بن الجراح :

. .إنه أحد السابقين الأولين ، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة ، وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبى بكر . . شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسماه أمين الأمة . . .

وهو أحد الثمانية الأول فى الإسلام : أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقد تحدث أبو بكر الصديق وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسقيفة بنى ساعدة :

قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر ، وأبا عبيدة .

وكان أبوعبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم .

وبلغ من منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جعله رئيساً على مدد حربى فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعمر الفاروق رضى الله عنه ، قال موسى بن عقبة فى مغازيه :

غزوة عمرو بن العاص هى غزوة ذات السلاسل من مشارف الشام ، فخـــاف عمرو من جانبه ذلك ، فاستمد رسول الله صلى الله علية وسلم ، فانتدب أبا بكروعمر فى سراة من المهاجرين ، فأمر نبى الله عليهم أبا عبيدة . .

وثبت من وجوه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح » . .

وكان رضى الله عنه حبيباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن عبد الله قال : سألت عائشة : أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه ؟ . . قالت :

أبوبكر ، ثم عمر ، ثم أبوعبيدة بن الجراح .

وأطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمين هذه الأمة » . .

ومن أجل كل ذلك رشحه أبو بكر رضى الله عنه للخلافة ، وما كان سيدنا عمر رضى الله عنه يؤثر عليه أحداً لأمر الخلافة ولو كان حيًّا :

عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا :

ولما بلغ عمر بن الخطاب سرغ [وهى قرية فى أول الشام] وحدث أن بالشام وباء شديداً قال :

« إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة حى استخلفته ، فإن سألنى الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد ؟ . . قلت : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح » .

ويقول صاحب كتاب : أعلام النبلاء :

(وكان أبوعبيدة موصوفاً بحسن الخلق ، وبالحلم الزائد والتواضع) .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما منكم من أحد إلا لو شئت لأخذت عليه بعض خلقه إلا أبا عبيدة، هذا » ؟ . .

وكان فارساً مقداماً لا يتراجع ، ولم يكن فارساً شجاعاً فحسب ، وإنما كان فارساً حكيما ذا بصيرة فى الترتيب الحربى . .

ولكل هذا انتهى به الأمر أن كان القائد العام لجيوش الفتح فى الشام كله ، ولاه سيدنا عمر ، وكانت ثقته به مطلقة .

وكان أبوعبيدة يسير فى العسكر فيقول :

« ألا رب مبيض لثيابه ، مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهولها مهين .

بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات » . .

وسافر سيدنا عمر إلى الشام ليرى الأمر على الطبيعة ، وفى ذلك يروى المؤرخون عن تميم بن سلمة أن عمر لقى أبا عبيدة فصافحه ، وقبل يده ، وتنحيا يبكيان . .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال :

قدم عمر الشام فتلقاه الأمراء والعظماء ، فقال : أين أخي أبو عبيدة ؟

قالوا يأتيك الآن ، قال : فجاء رجل على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم عليه ثم قال للناس : انصرفوا عنا ، فسار معه حتى منزله ، فنزل عليه ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله . فقال له عمر :

لو اتخذت متاعاً ، أو قال : شيئاً . .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلغنا المقيل .

وعن زهد أبي عبيدة يروى مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف ، أو بأربعمائة دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها . . قال : فقسمها أبو عبيدة ، ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، قال : فقسمها إلا شيئاً قالت له امرأته : تحتاج إليه . . فلما أخبر الرسول عمر قال :

. . الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا -

ونلاحظ من كل ذلك :

(ا) أن أبا عبيدة وصلت به تقواه إلى أن كان : أمين الأمة .

(ب) ووصلت به شجاعته وبصيرته المستنيرة إلى أن كان أمير الجيوش .

(حـ) وكان زاهداً زهداً اختيارياً لم يجبره أحد عليه ، ولم يكن هذا الزهد عن فقر : لم يكن زاهداً بسبب أخذ ماله قهرا ، أو الاستيلاء على عقاره بالقوة ، وإنما زهد في متاع الدنيا لأنه يريد وجه الله .

(د) حينما زاره عمر لم يجد عنده - وهو القائد العام لجيوش الشام - متاعاً ، وسأله أين متاعك وأنت أمير ؟ . .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغنا المقيل ، أي يكفينا إلى أن نصل إلى الآخرة ، دار الإقامة والبقاء . . لم يكن زهده عن فقر وإنما كان زهده عن استشراف لما هو أنفس . .

كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وسقاه من سلسبيل الجنة – غنياً صاحب ملايين ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . .

وكان أبو عبيدة – وهو صورة حبيبة إلى كل نفس – زاهداً مختاراً ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . .

ولقد استأهلا الجنة ببطولات وجهاد ، وتفان فى حب الله ورسوله ، وبصفات أخرى كثيرة يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهلتهما للبشرى بدخول الجنة .

والعشرة المبشرون بالجنة فضلوا على غيرهم لجهادهم وبطولاتهم ، وصفاتهم التى امتازوا بها على غيرهم . . وكان بعضهم من أصحاب الملايين ، وبعضهم من متوسطى الحال ، وبعضهم من الزهاد المتجردين طواعية واختياراً .

وهناك من هم فى مستوى من أفضل المستويات : جهاداً وتقوى عشرات ومئات ، وآلاف من الصحابة ، ولم ترد الأخبار الصحيحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة ، من هؤلاء : أبو ذر رضى الله عنه .

ويصل بنا كل ذلك إلى القول بأن واقع المسلمين ، وهم تحت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصره ، لم يكن فيه اتجاه قط ، ولا من بعد ، إلى الحد من الثراء ما دام فى إطار المبادئ الإسلامية من الكسب الحلال .

فإذا انشق إنسان أو شعب عن هذا النظام فإنه يكون منشقًّا عن الوضع الإسلامى ، عن الإسلام ، عن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن الوضع الذى رسمه الله ورسوله للأمة الإسلامية ، ولم يكن أبو ذر رضى الله عنه من هذا الفريق فهو عدو للشيوعية من قبل أن توجد لأنه عدو لكل انحراف رضى الله عنه .

٣

قواعد طهر المال

ونصل الآن إلى الموضوع الثانى :

إنه مع اشتراط أن يكون المال من كسب حلال طيب ، فإنه لابد من شرط آخر ، حينما يصل المال إلى ملكية الإنسان : وهذا الشرط سمه إن شئت : شكر الله على النعمة ، أو سمه : عامل التزكية ، تزكية المال . وتزكية صاحب المال ، وهذا الشرط هو : الزكاة ، شرط حتمى ، والصدقة : زيادة شكر لله على نعمته :

وسنتوسع فى الحديث عن هذا الموضوع :

لما له من أهمية !

ولأن كثيراً من الناس انصرفوا عنه .

ولأنه يتصل به زوايا أخرى كثيرة لابد من إيضاحها .

روى الإمام البخارى رضى الله عنه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رضى الله عنه ، وكفر من كفر من العرب ، بسبب عدم إخراجهم الزكاة ، وامتناعهم عن تأديتها ، فقال عمر رضى الله عنه :

كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟

فقال أبو بكر :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعها !

قال عمر رضى الله عنه :

فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه ، فعرفت أنه الحق » .

من هذا الحديث الشريف نعلم أن مانع الزكاة بهذا الوضع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها وإلا قتل ! ! !

وقد حارب سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، ما نعى الزكاة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة – إنكاراً لها – ارتداد عن الإسلام ، ولم ينفعهم – فيما رأى – سيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصحابة معه – صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية .

ذلك أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها إنما هو هدم ركن من أركان الدين .

إنها الركن الثالث يدفعها من تجب عليه لمستحقيها ليحيي بها نفوساً ، ويشبع بها بطوناً ، ويمسح بها دموعاً ، ويزيل بها آلاماً ، وينال بها ثواباً وأجراً من الله تعالى .

وكأن الإسلام بفرضها أراد أن يلفت بها نظر المسلم ، ويوجه انتباهه فى صورة من صور الواجب – إلى ضرورة شكر الله تعالى على ما أسدى إليه من نعمة المال ، وعلى ما وهب من نعمة الثراء .

وأراد أن يلفت نظره إلى أنه : عضو فى مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . . .

وإلى أنه عضو فى مجتمع يتكفل كل فرد فيه بالآخرين .

فالغنى متكفل بالفقير ، والقوى متكفل بالضعيف ، وذو الجاه متكفل بمن لا جاه له ، وذو العلم متكفل بمن ليس بعالم .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الزكاة برهاناً على الإيمان ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الصدقة برهان » . .

وكل من يخادع نفسه إذن فيدعى الإيمان ، ثم يمتنع عن زكاة ماله ، فإن هذا الامتناع نفسه برهان على كذبه .

وإذا كانت الزكاة برهاناً ، فإنها ، أيضاً ، امتحان يستبين فيه من أجاب داعى الله ، ومن أعرض عنه .

ثم هى تطهير للنفس وتزكية لها ، وتطهير للمال ، وتزكية له ، يقول الله تعالى :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » . . .

[جزء من الآية ١٠٣ من سورة التوبة]

والمال الطاهر المزكى : ينمو باستمرار ، ويجعل الله فيه البركة ، ويحفظه الله تعالى من التلف ، ويبعد عنه الآفات ، ثم يخلفه الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

[جزء من الآية ٣٩ من سورة سبأ]

وهو سبحانه وتعالى ، يعوضه أضعافاً مضاعفة :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦١]

ويأتى من بعد ذلك كله الأجر والثواب ، ورضوان الله سبحانه وتعالى .

وأجر الزكاة يبدأ من عشرة أمثالها ، فالحسنة بعشر ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله من أضعاف لا يكاد يحصيها العد .

والزكاة إذن رابطة بين الإنسان وربه ، رابطة رضوان من الله ، وأجر وثواب ، ونماء وبركة ، ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى ، على ما أنعم به ، وتفضل وأحسن وأكرم .

وهى من ناحية أخرى : رابطة بين الإنسان ، وأفرادالمجتمع الذى يعيش فيه ، رابطة مودة وتعاطف وتراحم .

والأساس الذى يجب أن يقوم عليه إعطاء الزكاة : أن يعطيها الإنسان طيبة بها نفسه ، منشرحا بها صدره ، غير منتظر شكراً ولا حمداً ، ولا معروفاً يسدى ، ولا خدمة تؤدى ، يقول الله سبحانه وتعالى :

« فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى . لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى . الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

[سورة الليل الآيات : ١٤ – ٢١]

وبعض الناس يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى فيبطل ذلك زكاتهم ، ولكن :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦٢]

وبعد : فإن هذا المال الذى استخلفنا الله عليه ، وجعلنا مجرد مستخلفين فيه ، إنما هومال الله ، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً الأغنياء :

« وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » .

[سورة الحديد الآية : ٧]

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى :

« الأغنياء وكلائى ، والفقراء عيالى ، فإذا بخل وكلائى على عيالى » أذقتهم نكالى ولا أبالى » .

أما هؤلاء الذين يشحون بالمال ، ويبخلون به ، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدث عنهم فيقول :

« وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

[سورة آل عمران الآية : ١٨٠]

* المعانى الإنسانية فى الزكاة :

روى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال :

« أتى رجل من تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى ذو مال كثير ، وذو أهل ومال حاضرة ، فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين ، والجار ، والسائل » :

فى هذا الحديث الشريف ، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الزكاة تطهر المزكى ، إنها تطهره من البخل ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

[سورة الحشر الآية : ٩]

وإن من الثلاث المهلكات التى تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشح المطَاع .

وتطهر النفس من الأنانية التى تجعل بعض النفوس يستأثر بكل شيء ؛ ويختص نفسه بكل خير ، مكتنزاً له ، ومقتراً حتى على أقربائه ، فإذا ما تعود إخراج الزكاة ، فإنه بذلك يكون قد تعود أن يمنح ما يملك ويعطى مما أعطاه الله ، فيخرج بذلك عن شيء من أنانيته ، ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الكريم :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » .

[سورة التوبة جزء من الآية : ١٠٢]

ثم هى طمأنينة للنفس : على النفس ، وعلى المال :

فالزكاة نوع من الفداء عن النفس ، يشعر بذلك المزكى شعوراً واضحاً ، أو شعوراً خفيًّا .

إنه يشعر فى نفسه بعد أداء الزكاة بطمأنينة ، ويشعر فى قلبه برضاً ، وفى ضميره بارتياح .

والزكاة نوع من الفداء عن المال ، ومن أجل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حصنوا أموالكم بالزكاة » .

وإنه لمما يرضى النفس ، ويرتاح له الفؤاد ، أن يصل الإنسان بالزكاة أقرباءه ، فتكون الزكاة زكاة وصلة رحم ، ويكون ثوابها بذلك مضاعفاً .

وإنه لشكر لله على النعمة أن يخرج الإنسان بعضها لمن لم يمنحه الله الثراء .

وبعد : فإن المسلم الصادق يرى من قبل ذلك ومن بعده أن للزكاة غايتين :

أولاهما : أن الزكاة تأدية حق ، إنها واجبة وليست منحة ، إنها واجبة وليست تفضلا ، فهو يؤديها على أنها حق السائل والمحروم ، يقول الله تعالى فى سورة الذاريات عن المتقين :

« وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[آية : ١٩]

ويقول الله تعالى فى سورة المعارج ذاكراً صفات المؤمنين الحميدة :

« وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[الآيتان : ٢٤ ، ٢٥]

أما الغاية الثانية : الغاية العليا ، الغاية السامية فإنها الرضا الإلهى ، يقول تعالى من سورة الليل :

« فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى . لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى . الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

* **الصدقة :**

يقول الله تعالى من سورة البقرة :

« قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ » .

وردت هذه الآية الكريمة – ضمن آيات عدة – تحث على الصدقة ، وتذكر آدابها وثمراتها .

وقد بدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآيات من سورة البقرة بذكر ثمرات التصدق فى سبيل الله ترغيباً فى الصدقة من أول الأمر ضارباً المثل الواضح :

فمثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله سبحانه كمثل حبة غرست فى الأرض ، فنبتت وأينعت ، وأثمرت سبع سنابل ممتلئة موفورة ، فى كل سنبلة منها مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ، ومقدار ما يخلفه الله تعالى عليه جزاء صدقته ، هذا الأجر الذى يتضاعف ، فيصل إلى سبعمائة مثل ، ولكنه لا يقتصر على ذلك ، فإنه بمقدار إخلاص المتصدق يضاعف الله له الأجر إذا شاء ، وإن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنح الأضعاف المضاعفة ، وهو سبحانه عليم بمن يستحق ذلك من المخلصين :

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة ، فمن ذلك أنه سبحانه :

١ – لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمنّ .

والمن أن يعتد المتصدق بإحسانه على من أحسن إليه ، فيقول مثلاً : أنا أحسنت إليه فى كذا وكذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك ، يريد بذلك إظهار فضله عليه .

٢ – ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى .

والأذى : أن يتطاول المنفق على من أنفق عليه بالكلام أو بغيره .

أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى ، فإن أجرهم عند الله سبحانه جزيل .

ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل المنّ والأذى ، من قريب أو بعيد ، أفاض سلفنا الصالح فى الحديث عما يكون منـاً أو أذى فقالوا :

المنّ : أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى : أن يعيره بالفقر .

وقالوا : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى : أن ينهره ويوبخه بالمسألة .

ولقد قال الإمام الفقيه سفيان الثورى .

مَنْ مَنّ فسدت صدقته !

فقيل له : كيف المن ؟

فقال : أن يذكره ، ويتحدث به .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً فى هذه المعانى ، حتى لقد قال زيد بن أسلم رضى الله عنه :

« إذا أعطيت أحداً شيئاً ، وظننت أن سلامك يثقل عليه ، فكف سلامك عنه » .

على أن الكلام الحسن ، والرد الجميل على السائل ، والبشاشة فى وجهه ، والتجاوز عن إلحافه ، ومغفرة ذلك له – وكلها أمور سهلة التحقيق – خير عند الله ، وأفضل من صدقة يتبعها : منّ أو أذى للسائل !

والدين الإسلامى : دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة ، ما دام الفرد محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يتجاوزها ، وإن حث على الصدقة والإنفاق ، فليس يعنى بذلك الحط من قيمة الفقير ، بل إنه مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة » !

ويروى أيضاً أنه قال – ما معناه – :

« إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير » :

على أن الصدقة فى الجو الإسلامى : إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ، ذلك أن فائدتها للآخذ : تكاد تكون فائدة مادية وحسب ، إنها بالنسبة له لا تعدو أن تكون علاجاً للجوع !

أما بالنسبة للمعطى فإنها تفيده فى الدنيا ، وتفيده فى الآخرة .

أما فائدتها فى الدنيا : فإن الله سبحانه يخلف عليه لا بالمثل فقط ، بل بأضعاف مضاعفة ، يقول تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

والصدقة دواء من المرض : يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« داووا مرضاكم بالصدقات »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فى إجمال وفى شمول :

« الصدقة تسد سبعين باباً من الشر » :

أما فائدة الصدقة فى الآخرة : فإنها كما يقول صلوات الله وسلامه عليه .

. . . « تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » .

ومن أجل فائدتها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – عندهم شعور مرهف ، وإحساس دقيق ، واندفاع إلى الخير فى صورة الصدقة ، فلقد تصدقت السيدة عائشة رضوان الله عليها بخمسين ألفاً ، وإن ثيابها لمرقعة !

ولقد كانت – رضوان الله عليها – كغيرها من أفاضل ومن فضليات ذلك العهد الكريم – إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعو به – ثم كانت ترد عليه مثل قوله ، فتدعو له بمثل ما دعا لها ، وتقول : هذا بذاك ،

حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء ؛ لأنه شبيه بالمكافأة ، وكانت تقابل الدعاء بمثله .

ولقد عرفوا رضوان الله عليهم منزلتها عند الله ، وقيمتها فى سبيل القرب منه سبحانه :

يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات فى التقريب من الله : « الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه » .

عرفوا ذلك فتنافسوا فى البذل والإنفاق ، والتزموا حدود الآداب التى يحبها الله سبحانه من المنفق ، واعتبروا أن للفقير فضلا عليهم فى تطهير أموالهم ، وفى تزكية نفوسهم ، وفى وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ، فابتعدوا كل البعد عن إيذاء الفقراء على أى وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولا معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له إلحافه ، وإذا فاه ببعض ألفاظ لما يجد من الضيق الذى يحيط به عفوا عنه .

وبعد ، فإن أسلافنا ممن أنار الله بصائرهم : كانوا يتبعون الهدى الإسلامى فى أموالهم ، فيقولون :

إن هذه الأموال اشتراها الله منا فى عقد الإيمان بثمن هو الجنة :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » .

فالمال مال الله ، والله سبحانه استخلفنا عليه ، ثم أمرنا بأن ننفق فى سبيله وعلى عياله أى الفقراء مما استخلفنا فيه :

« وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » .

وهو سبحانه المعطى للمال ، فالفضل منه وإليه ، ولو شاء الله لأغنى الفقراء ،

ولكنه سبحانه فتح أمام الأغنياء بالصدقة باباً هو الصدق فى الإيمان ، حتى تكمل نفوسهم وتتزكى ، فيرضى عنهم ، ويدخلهم فى رحاب رحمته ورضوانه .

* الإيمان والإنفاق فى سبيل الله :

إن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » :

وإذا وجد الإيمان وجد التآزر والتعاطف .

ونحب أن نتحدث فى هذا الجانب عن عامل واحد من عوامل التعاطف وهو الزكاة :

أى أننا نجب أن نعود إلى الزكاة من جديد ، والحديث فيها لا يكاد ينفذ .

إن الزكاة وإن كانت تزكية لمال المزكى ، فإنها تزكية وتطهير لنفسه ، وهى تزكية وتطهير لنفس الآخذ ، فإنها تبعث فيه الرضا والاطمئنان ، وهى تربط بين أفراد المجتمع برباط محكم لأنها مودة وشكر .

والزكاة فى أوسع معانيها : إنما هى بذل وتضحية ؛ فمعاونة الضعيف زكاة ، وزيارة المريض زكاة ، والكلمة الطيبة زكاة ، وكل إنفاق من القوة أو الذكاء أو المال فى سبيل الله ؛ إنما هو زكاة ، وقد وعد الله بأن يخلفه يقول الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

يخلفه فى الدنيا ، ويجزى عليه العطاء فى الآخرة .

والإسلام من أجل ذلك يشجع البذل والإنفاق ، والعبارات التى استعملها القرآن فى ذلك بلغت حداً من الروعة لا يجارى :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ

سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » ..

« من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له وله أجر كريم » .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما رواه البخارى :

« على كل مسلم صدقة » .

فقالوا : يا نبى الله ، فمن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق » !

قالوا : فإن لم يجد ؟

فقال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » .

قالوا : فإن لم يجد ؟

قال : « فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة » !

ولأهمية الزكاة البالغة – سواء نظرنا إليها باعتبارها جزءاً من الدين ، أو نظرنا إليها باعتبار أهميتها للمجتمع – حارب سيدنا أبو بكر هؤلاء الممتنعين عن أدائها قائلا :

« والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » !

الزكاة حق المال ، وهى أيضاً من حقوق لا إله إلا الله !

وسواء أكنا بصدد الزكاة ، أم بصدد الصدقة ، فإن منزلتهما فى الدين وأهميتهما للمجتمع بينة واضحة ، والأحاديث فى الحث عليهما كثيرة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تصدقوا ولو بتمرة ، فإنها تسد من الجائع ، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » !

وقال عليه الصلاة والسلام :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » .

« ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا طيباً – إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ الثمرة مثل أحد » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ».

« والصدقة تسد سبعين باباً من الشر » .

٤

الرّبا

والطرف المعارض للصدقة ، الطرف الذى يبغضه الله ، ويبغض المتعاملين به : هو الربا .

وقد حارب الإسلام الربا حرباً لا هوادة فيها : !

حاربه لأنه مبدأ ليس بإنسانى ، واستعمل فى محاربته من التعبير أقساه . لقد حاربه فى جملته وتفصيله .

قال الله تعالى :

« الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ » .

[سورة البقرة آيتا : ٢٧٥ — ٢٧٦]

إن القاعدة الأساسية فى بيان حقيقة الربا هى : أن كل قرض جر نفعاً

فهو ربا ، وقد بين الشرع الحكيم أن من أعطى غيره مقداراً من القمح أو من النقود فليس له أن يسترد إلا المقدار نفسه ، يقول الله تعالى :

« وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ » .

[سورة البقرة جزء من الآية : ٢٧٩]

وصاحب المال ليس له إذن إلا المقدار الذى أعطاه .

وقد كان عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إحساس دقيق بهذه المعانى لدرجة أن الواحد منهم كان يتحرج من أن يستظل بظل شجرة المقترض أو حائطه .

وعلى هذا الأساس الدينى من القرآن والسنة : فإن كل محاولة لإخراج الفائدة – مهما قلت – عن محيط الربا ، تكون منافية للكتاب والسنة وعمل السلف الصالح .

والآية القرآنية الكريمة التى بين أيدينا تتحدث عن حالة الذى يأكل الربا فى نفسه ، وتتحدث عن هؤلاء الذين يجادلون ويمارون فى أوامر الله ونواهيه من أجل تحليل ما حُرِّم ، وتتحدث عن ثمرة استعمال الربا ، وثمرة الجانب المقابل له ، وهو الصدقة .

أما حالة من يأكل الربا : فإنها كحالة المجنون الذى يتخبطه الشيطان من المس : ذلك أنه إذا كان هذا الذى أصابه خبل يقوم ويسقط ويسير ويهوى إلى الأرض فهو متخبط بجسمه المادى .

فإن الذى يقيس الربا على البيع ، ويجعل الربا حلالا ، لأن البيع حلال متخبط فى تفكيره العقلى ، بل إن هذا شر من الذى يتخبط بجسمه .

قال المعارضون لصراط الله المستقيم : إنما البيع مثل الربا ، وقصدوا بذلك المبالغة حيث جعلوا الربا أصلا ، وقاسوا عليه البيع .

وكان أهل الجاهلية إذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم : زدنى فى الأجل أزدك فى المال – فيفعلان ويقولان :

سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند محل الدين هو مرضاة .

فأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك ، وكذبهم وبين لهم ما يجب أن يلتزموه دون معارضة أو نقاش أو شك ، وهو الخضوع لحكم الله سبحانه وتعالى خضوعاً لا يجدون فى أنفسهم حرجاً ولا ضيقاً ، قال الله تعالى لهم .

« وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا » .

فكل قياس بعد ذلك يريد أن يخرج على هذا النص فإنه قياس فاسد ، وكل محاولة تريد أن تبرر حل الربا فإنها محاولة خاسرة .

وهؤلاء الذين يتجهون هذا الاتجاه ليس مثلهم فى تخبط منطقهم إلا كمثل تخبط المجنون الذى لا يكاد يخطو حتى يهوى إلى الأرض متعثراً مصروعاً . وموقف أكلة الربا بعد بيان الله سبحانه هذر وموعظته إنما هو أحد أمرين .

إما أن ينتهى المرابى ويستجيب لله سبحانه وتعالى بترك الربا ، فهذا يكون أمره راجعاً إلى الله ، وله رأس ما له فقط .

وإما أن يستمر على الربا ويتمادى بعد بلوغه النهى فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

على أن الله سبحانه وتعالى يمحق الربا ويذهب ببركته فإنه سبحانه يبارك فى المال الذى أخرجت منه الصدقة .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما نقص مال من صدقة » .

ويختتم الله آيات الربا بهذا التهديد العنيف ، وبهذا الوعيد الشديد :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ » .

والمفهوم من هذه الآية الكريمة : أن المرابى الذى لم يتب لا يحل له شىء من ماله .

وقد وردت آيات الربا التى معنا بعد آيات رائعات تتحدث عن الصدقة ، وعن هؤلاء الذين يستجيبون لله تعالى فيسارعون إلى مرضاته بالصدقة وبالزكاة ، فيرعاهم ويكلؤهم بعنايته ويحفظهم بحفظه :

« الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وإذا ذكرت قصص المرابين فى بشاعة واشمئزاز : فإن قصص أصحاب الصدقات ، والمؤثرين على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة لا تكاد تحصى ولا تعد .

وإذا كان المرابون تُسَعَّر بهم نار جهنم ، فإن أصحاب الصدقات وأصحاب القرض الحسن على هدى من الله ؛ وفى رحاب رضوانه ، فإن من أنظر معسراً أو وضع عنه :

« أظله الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » .

هذا ، ولم يكن موقف السنة النبوية الشريفة فيما يتعلق بالربا بأقل صرامة من موقف القرآن الكريم ، فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اجتنبوا السبع الموبقات – أى المهلكات – قالوا : يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل

الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال :

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ، وموكله ، وكوتبه ، وشاهده — وقال : « هم سواء » .

وقد نتساءل عن السر فى تحريم الربا بهذه الصرامة الصارمة ، ولكن هذا السر سافر ظاهر لا يغيب عن ذوى البصائرالرشيدة ، فإن الأساس الذى يتخذه الدين الإسلامى لبناء العلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض ، إنما هو الأخوة :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

و « المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يخُذله » .

والأخوة تتنافى تنافياً مطلقاً مع أى نظام استغلالى ، إنها تتنافى إذن تنافياً تامًّا مع التعامل بالربا .

ثم إن طابع الرسالة الإسلامية إنما هو الرحمة :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » .

[سورة الأنبياء : ١٠٧]

والمسلمون فيما بينهم إذن : إخوة متراحمون !

إنهم فيما بينهم عطف وتعوون ، ومودة ورحمة ، وكل هذا ؛ طريق غير طريق المرابين .

وبعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فيما رواه الحاكم — :

« أربعة حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يُذيقهم نعيمها :

مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ، والعاق لوالديه » .

قارون

ونصل الآن إلى الموضوع الثالث وهو القواعد التى وضعها الله للأغنياء حتى لا يخسف الله بهم وبدارهم الأرض ، ولقد ذكر القرآن عن ذلك الكثير ، ونحب أن نوجز الأمر ممثلا فى شخصية قارون ونصيحة أهل الصلاح والتقوى .

كان قارون من قوم موسى ، وقد نشأ فى ربوع مصر ، وآتاه الله ثراء عريضاً ، ورزقه من المال ما لا يكاد يحصى ولا يعد ، وهيأ له من وسائل الحياة الهانئة وأسبابها الشيء الكثير ، فكان مع ثرائه الواسع قوى الجسم ، وضيء الصورة ، إلى درجة أنه كان يسمى « المنور » .

وكان إلى ذلك طلق اللسان ، جذاب الحديث ، آتاه الله كل ذلك ، وآتاه أكثر من ذلك ، فكان منطق الحكمة أن يؤدى لله حق الشكر على نعمه ، وأن يتصرف فيما منحه الله إياه تصرف المعترف بالفضل الذى لا ينكر الجميل :

ولكن نفسه كانت تتطلع إلى غير ذلك .. لقد أجال بصره فى بيئته ، وفى عشيرته ، فلم يجد ما يساعده على أن يكون حاكماً ، أو صاحب ولاية ورئاسة ، فأخذ ينسلخ من عشيرته ، وينفصل عن قومه ، ويتقرب إلى فرعون : يداهنه ، ويتملق كبرياءه ، ويتزلف إليه ، حتى أصبح من جلسائه .

وفى فترة من الفترات وجد نفسه ينعم بجاه الثروة ، ويستمتع بجاه السلطان ، فانتشى بهذا المجد الزائف ، وملأه الغرور ، واستولى عليه الكبر ، ورسخ فى نفسه

أن السعادة إنما هى الثراء والجلوس مع فرعون .

ولما وقر فى نفسه ذلك نسى الله أو تناساه ، فتعود عادات الذين لا دين لهم : ازدراء العشيرة ، واحتقار الفقراء ، ونضوب معين الرحمة من القلب ، واعتبار أن الحياة الدنيا هى كل شىء ، وأن المثل الأعلى إنما هو الاستمتاع على أى وضع كان ، وفى أى صورة حدث .

وسارت الحياة به على هذا النمط ، رخاء ، فترة من الزمن ، فاعتقد أنها ستسير به هكذا إلى النهاية ، ولكن . . .

وفى يوم من الأيام ، بينما كان يجلس قارون مع فرعون وهامان ، دخل موسى عليه السلام يعرض عليهم الرسالة التى كلفه الله بتبليغها :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » .

[القصص : ٢٣ ، ٢٤]

لقد كان المنتظر من قارون أن يدافع عن موسى ، إن لم يكن من أجل الحق الواضح فمن أجل العصبية والجنسية ، ولكنه ضرب بالحق و بالعصبية عرض الحائط ، وجارى فرعون حرصاً على ماله ، واحتفاظاً بثروته ، وقال كما قال فرعون : « ساحر كذاب » . .

ومن أجل الإبقاء على ثروته جارى فرعون فى إسرافه وطغيانه ، فقال موافقاً له :

« اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [مَعَ موسى] واسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ » .

ولما قال فرعون : « ذرونى أقتل موسى » ، لم يحاول قارون الدفاع عن رسول الله ، و إنما الذى فعل ذلك رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه . .

وارتكب قارون كل ذلك : إيثاراً للمال ، وخوفاً على الثروة من أن يصادرها فرعون لو خالفه فيما يرى من رأى ، وغاب عنه أن الثروة والملك ، والدنيا والآخرة ، بيد الله وحده . . وكما أنه ، سبحانه ، المانح الوهاب ، فإنه تعالى المانع القابض . .

ولما رأى بعض الصالحين من قوم قارون أن الثروة والجاه أفسداه تشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة ، فلما اجتمعوا به تلطفوا فى القول ما استطاعوا ، وأجملوا النصيحة فى أمور خمسة ، هى فى الواقع القواعد العامة المثالية لما ينبغى أن يكون عليه الأثرياء ، وهى القانون الذى يجب أن يخضع له أهل الغنى ، قالوا له :

١ – إنك مباه بثروتك ، فخور بها ، فرح بكثرة المال ، وما ينبغى أن يكون الفرح بالمال لأنه وسيلة إلى النفع ، فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر ، فإن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك . .

٢ – وقد أتاك الله المال الكثير المتنوع فابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، واتجه فى كل ما تأتى وما تدع إلى تقوى الله ومرضاته .

٣ – والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها ، فلا تنس نصيبك من الخطوات فى هذا الطريق بالعمل الصالح الذى سيكون رصيدك :

« يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

٤ – « وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ » :

فاجعل زكاة مالك مساعدة الفقير ، وزكاة قوتك نصرة الضعيف ، وزكاة جاهك معاونة المظلوم حتى يسترد حقه .

٥ – « وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » :

ولكن هذه المبادئ السامية – التى إذا عممت كانت الدستور لكل صاحب جاه أو نعمة – لم تلق أذناً صاغية لدى قارون ، الذى ألهاه التكاثر ، فقال ساخراً متحدياً لا يبالى :

« إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي » .

لقد أوتيت هذا المال بسبب تدبيرى ، وحكمتى ، وحسن تصريفى للأمور ، وحدسى الذى لا يخطئ فى شئون التجارة ، ورأيى الصائب فى ارتفاع الأسعار ونزولها ، وأنكر بذلك أى أثر إلهى للنعمة التى ينعم بها وفيها .

وتناسى قارون وهو فى نشوة الثراء ، وحماسة الجدل : الأخبار الصحيحة التى تدل على أن الله سبحانه أهلك كل ذى جاه لم يتق الله فيما أنعم به عليه ، ولم يؤد حق النعمة : مالا كانت أو قوة أو رئاسة :

« أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً » ؟

[القصص : ٧٨]

وأراد قارون أن يتحدى، وأن يسخر ، وأن ينعم بالتحدى والسخرية ممن نصحوه ، فخرج يوماً على قومه ، فى موكب كأبهى ما يكون من الزينة والأبهة ، وكأضوإ ما يكون بريقاً وزخرفاً

لقد خرج على قومه فى زينته ، فى كل زينته ، فمدت إليه الأعين ، وأخذ بريق الذهب الذى يتحلى به الركب يخطف بالأبصار ، ولمعان الفضة المحلاة بها سروج الخيل يخلب الأفئدة . .

وتهادى الركب بقارون وهو ينظر يميناً وشمالا فى كبرياء سافر ، وفى غرور مكشوف .. ولما رأى هذا المنظر أولئك الذين يسيرون بحسب قانون الغرائز ، ويريدون

الحياة الدنيا : فتنهم بريق الذهب ، ولمعان الفضة ، وزخرف الموكب ، فقالوا فى شهوة غلابة ، وفى جوع إلى المال نهم :

« يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

[القصص : ٧٩]

ولكن الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ردوا عليهم منبهين :

« وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً » .

[القصص : ٨٠]

وسنة الله لا تتخلف عادة ، نذكر منها فيما نحن بصدده قوله تعالى :

« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، وَازَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ » .

[يونس : ٢٤]

وقوله تعالى :

« وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً » .

[الإسراء : ١٦]

وإذا كانت هذه سنة الله فى الأرض وفى القرى ، فماذا ينتظر أن تكون فى قارون وأمثاله ؟ .. إنها :

« فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ » .

[القصص : ٨١]

ولما رأى الذين تمنوا مكان قارون بالأمس ما حل به رجعوا إلى الله وأنابوا اليه ، قائلين :

« وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ، لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » .

[القصص : ٨٢]

أما العبرة من كل ذلك فيلخصها القرآن – عند انتهاء قصة قارون – تلخيصاً جميلاً موجزاً :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

[القصص : ٨٣]

وإلى هنا انتهت قصة قارون ، وكان يمكننا أن نقف عند هذا الحد ، ولكن هنا بعض الطرائف والملاحظات ، يقول الله عن قارون :

« وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ » .

[القصص : ٧٦]

١ - يقول صاحب البحر المحيط :

سميت أمواله كنوزاً لأنها لم تؤد منها الزكاة ، وعلى ذلك فإن الأموال التى تؤدى فيها الزكاة لا تدخل تحت قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ » .

٢ - أما عن المفاتح التى تنوء بالعصبة أولى القوة فقد قال أبو مسلم رأياً طريفاً جدًّا فى تفسيرها ، وهو أن المراد من المفاتح العلم والإحاطة ، كما فى قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) . . والمراد : وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة ، أى هذه لكثرتها ، واختلاف أصنافها تتعب حفظتها ، القائمين عليها . . . .

٣ - يذكرنا ثراء قارون بأثرياء المسلمين فى العصور الماضية ، وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن عوف ، ولكنه رضى الله عنه كان يؤدى حق الله فى ماله ، حتى لقد تبرع يوماً لفقراء المدينة بقافلة كاملة مكونة من خمسمائة جمل بما تحمل من تجارة ..

وإذن ، فالمال إنما يكون فتنة إذا لم يؤد حق الله كاملاً فيه ، وكذلك الأولاد إنما تكون فتنة إذا لم يؤد الوالد حق الله والوطن فيهم ، بتربيتهم خير تربية ..



الفصل الرابع

أبو ذرّ والشيوعيّة من زاوية الأخلاق



تحدثنا فيما سبق عن أبى ذر والشيوعية فى العقيدة ، ورأينا أن الشيوعية ليس لها فى أبى ذر نصيب ، إذا نظرنا إلى العقيدة ، وأن الوضع بينهما هو الوضع بين الكفر والإيمان ، بين الإلحاد والإسلام .

والآن نتحدث بتوفيق الله تعالى عن أبى ذر والشيوعية فيما يتعلق بموضوع الأخلاق .

إن استمداد الأخلاق – أساساً – فى الإسلام إنما هو من الركن الأول من العقيدة الإسلامية ، وذلك أن الله تعالى هو الذى رسم الخلق للمسلم ؛ فإذا شهد المسلم أن لا إله إلا الله فإن مما يدخل فى نطاق الشهادة أن يلتزم بالخلق الذى رسمه الله تعالى وإلا فإنه لا يكون مسلماً صادقاً .

والأخلاق فى الجو الإسلامى مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر .

إنها جزء من الدين الإسلامى لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهى ربانى .

وصفات المؤمنين التى حددها القرآن بأسلوب عربى مبين ، والتى تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً فى أحاديثه الشريفة تتضمن الأخلاق الإسلامية ؛ ومما ورد فى ذلك :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

[النحل : ٩٠]

ولقد أعلن الله تعالى أنه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ليبشر بالرحمة للعالمين فقال سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » .

[الأنبياء : ١٠٧]

وجوهر الأخلاق الإسلامية هى :

العــدل :

الإحسان .

الرحمــة .

أما العدل فإنه عام شامل : إنه فرض بالنسبة للأحكام ، سواء أكان المتحاكمون أصدقاء ، أم أعداء ؛ يقول تعالى :

« وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا : اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » .

[المائدة : ٨]

أما الإحسان فإنه فى كل أمر من أمور السلوك الأخلاقى :

إنه مثلا فى العبادة ، والمحسنون يصفهم الله تعالى بقوله :

« كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

[الذاريات : ١٦ : ١٨]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فى العبادة :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والعبادة هنا هى كل سلوك يهاجر به الإنسان إلى الله : والإنسان يهاجر إلى الله بتجارته ، ويهاجر إلى الله بصناعته وزراعته :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أخرجه البخارى ومسلم عن عمر ابن الخطاب :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وكل هجرة إلى الله عبادة .

والإحسان يكون فى الإنفاق ، ومن أمثلته ما وصف الله به المحسنين بقوله :

« وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[الذاريات : ١٩]

والإحسان فى العمل إتقانه :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

وكما أن العدل أصل من أصول الخلق الإسلامى ، فإن الإحسان أصل آخر من أصول الأخلاق الإسلامية .

والرحمة أصل ثالث ؛ وللرحمة فى الجو الإسلامى مكانة كبرى ، ويمتد محيط الرحمة حتى تشمل الحيوان :

« والشاة إن رحمتها رحمك الله » .

ويقوم على تحقيق العدل والإحسان والرحمة مبدأ الجهاد الذى جعله الله تعالى من أهم المبادئ الإسلامية ومن أصلها .

الجهاد بجميع ضروبه :

(ا) جهاد النفس لتتزكى .

(ب) جهاد الأسرة لتستقيم .

(حـ) جهاد المجتمع ليقوم على أمر الله .

(د) جهاد الأعداء لتكون كلمة الله هى العليا .

وكان أبو ذر رضى الله عنه متجاوباً تجاوباً كاملاً مع الخلق الإسلامى ، إنه كان فى سلوكه مثلاً كريماً للعدل ، والرحمة ، والإحسان ، وكان يروى فى ذلك من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النفيس السامى :

لقد روى حديث الاستمداد من الله والتوجيه إليه ، وهو من الدرر فى هذا المجال ، وقد سبق أن ذكرناه .

وقد روى أبو ذر – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« يا أبا ذر : إنى لأعرف آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ » .

[الطلاق : ٢ ، ٣]

ويقول أبو ذر عن وصية النبى صلى الله عليه وسلم ، له :

« أوصانى بخمس :

أرحم المساكين وأجالسهم .

وأنظر إلى من تحتى ، ولا أنظر إلى من فوقى .

وأن أصل الرحم وإن أدبرت .

وأن أقول الحق وإن كان مرًّا .

وأن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله » ا هـ .

وعن أبي ذر قال :

« أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع :

أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم

وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني .

وألا أسأل أحداً شيئاً .

وأن أصل الرحم وإن أدبرت .

وأن أقول الحق وإن كان مرًّا .

وألا أخاف في الله لومة لائم .

وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فإنهن من كنز تحت العرش » .

وهذه أحاديث التزمها أبو ذر وهي من عيون الخلق الإسلامي .

ونقيض هذا : الخلق الشيوعي .

وانظر الآن ما يقوله زعماء الشيوعيين ، وما هو طابع الجو الشيوعي ، يقول أحد قممهم الشهيرة :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعده شر أعدائنا ، وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن ما نريده : هو الكراهية والعداوة ، وحينذاك نستطيع غزو العالم » ا هـ

* الإسلام لا الشيوعية :

ويصور الأستاذ الكبير إسماعيل مظهر ، الأخلاق الشيوعية في عمومها فيقول عن الطابع العام فيها :

ولا شك في أن للشيوعيين فكرتهم الخاصة في مستوى الأخلاق الذي يلائم نزعاتهم ؛ ومن أجل ذلك كان مثلهم الأخلاقي مثلاً يمشي إلى النقيض من المثل

الأخلاقية التى سادت مجتمعات الحضارة التى نشأت وربت فى ظل الموروثات التى رتبها ونشأها شوامخ المفكرين والمصلحين طوال العصور .

وإن نظرة واحدة فى المستوى الأخلاقى لجمعية شيوعية يدلك على أنه يقوم على النفعية ، والانتهازية ، والمادية الصرفة الموغلة فى الخصومة والعناد بحق أو بغير حق ، من غير أن تفرض أن هناك أية قيمة لذلك القانون الأبدى الذى بشرت به كل النفوس الكبيرة للناس :

قانون الصدق ، والحق ، والعدل .

ويقول « هارولد كوكس » :

« لم ينشأ الشيوعى لكى يسمو بالطبيعة البشرية ويعلو بها ، وإنما نشأ ليحطم الرأسمالية ؛ ومن أجل أن يصل إلى هذا الغرض ، فهو يشجع ، أو هو يغتفر كل سلوك وصمه الناس من قبل بأنه إجرامى » ا هـ .

ويقول « هارولد كوكس » فى كتابه « الحرية الاقتصادية » :

« ليس فى تعاليم الشيوعية شىء مثالى أو رفيع ، إنها تستنصر جميع النزوات ، وجميع الرذائل ، كالحسد ، والغيرة ، والشهوة ؛ هى تشجع ، أو على الأقل تجيز الإتلاف والشطط والخلاعة والإدمان ؛ إن غايتها السلب والنهب » ا هـ .

وإن ما أثبتته محاضر قضايا الشيوعية بمصر أن واحدة من « زوجات الدولة » اسمها « ميرى روز نتال » كان لها فى مصر زوجان تختلف إلى كليهما ، وتقاسم كلاً منهما الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو ، ولم تنكر هى أنها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر أحد منهما أنها « زوجته » ولم ترأو ير أحدهما فى ذلك عيباً ، لأنهم جميعاً « شيوعيون » .

أما عن أسلوبهم فى النقد والهجوم ، أو فى الدعوة ضد معارضيهم فإن الأستاذ « لا فالى » يقول :

« إن لهجة التهييج والحقد التى يكتب بها الشيوعيون تهاريجهم الطنانة ، لأشبه شىء بنغمة الموت عند أكلة لحوم البشر » .

وجو الأخلاق هذا يتبرأ منه زاهدنا الورع الصالح أبو ذر ، بل يلعنه ويحاربه ، ويضحى بنفسه فى مقاومته لو وجد فى عهده ؛ إنه جو مختلف تماماً مع روح أبى ذر ، ومع إيمانه ، ومع أخلاقه الإسلامية المستمدة من الوحى الإلهى المعصوم .

ولقد بينا من قبل التعارض التام بين أبى ذر والشيوعية فى العقيدة ، والتعارض التام بين أبى ذر والشيوعية فى النظام المالى ؛ وها هو ذا يتعارض مع الشيوعية تعارضاً تامًّا فى الأخلاق .

إنه يتبرأ من الشيوعية جملة وتفصيلاً : إنه مؤمن وهى ملحدة ، وهو يعترف بالملكية الفردية وهى لا تقرها ، وهو مسلم فى خلقه ، وهى ماركسية فى أخلاقها : إنه مسلم والمسلم لا يكون قط شيوعيًّا .



الخاتمة

ماذا يمكن أن نقول فى الخاتمة ؟

١ – إن أبا ذر مؤمن والشيوعية ملحدة ، وإيمان أبى ذر يقين ، وإلحاد الشيوعية يقين . إن الإلحاد جزء من طبيعة الشيوعية ، إنها فتحت معاهد لتعلم الإلحاد ، ولأن الإلحاد لجزء من طبيعتها فهى تعادى الأديان ، كل الأديان .

٢ – وأبو ذر يستمد رأيه وفكرته من تعاليم القرآن الكريم ، وإنجيل الشيوعية هو كتاب رأس المال .

٣ – يتخذ أبو ذر رضى الله عنه محمداً صلى الله عليه وسلم ، إماماً ، وأما لشيوعية فيقودهم كالقطيع ماركس اليهودى .

٤ – أخلاق أبى ذر هى أخلاق الإسلام : عدالة ، ونصفة ، وتراحم ، ومودة ، وعطف ، وأخوة ، ورحمة ، وإحسان ..... وأخلاق الشيوعية حقد وحث على التطاحن ، وكراهية ، وجاسوسية ، وقتل ، وسفك ، وتنكيل ، ودماء تسيل وقسوة وإرهاب .

٥ – والإسلام أساسه الوحى المقدس ، والشيوعية أساسها الصهيونية .

٦ – وأبو ذر زاهد زهد المتجردين ، وهو الزهد الاختيارى ، ويدعو إلى هذا النمط من الزهد الاختيارى ، وأما الشيوعية فإنها تغتصب الأرض والمال ، وتقهر أصحابها قهراً ، وإذا تنفس أحدهم بكلمة فجزاؤه القتل أو النفى ، أو الزنزانة ..

وبعد : فها هى ذى كلمة لها مغزاها العميق قالها الأستاذ « دى جويو »
« لقد نسج الشيوعيون نظرية فى السرقة سموها تعويض المحرومين » .
وأما بعد ، أيها القارئ الكريم :

هل فكرت فى قوله تعالى :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ؟

[آل عمران : ١٠١]

وهل فكرت فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ؟
وهل فكرت فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتى » ؟
ثم .. أما بعد :
يقول الله تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً » .

[المائدة : ٣]

صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم ، وأنا على ذلك من الشاهدين .

« وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » .

فهرس

صفحة

الصفحة

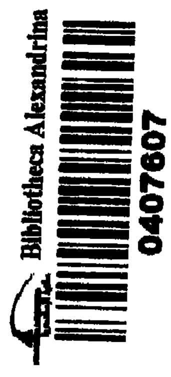
تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٥١٩٣/١٩٧٥
مطابع دار المعارف بمصر - ١٩٧٥
١/٧٥/٢٧٥





هذا الكتاب

تصوير لشخصية أبي ذر وآرائه في العقيدة ، والنظام المالي ، والأخلاق ، ومقارنة ذلك كله بمثل هذه النظم في الشيوعية ، وبيان أن لا صلة مطلقاً بين آراء أبي ذر ، والآراء الشيوعية ، وأن الفرق بينهما هو الفرق بين الكفر والإيمان ، مستنداً في كل ذلك إلى أوثق المصادر سواء أكان ذلك بالنسبة إلى الشيوعية أم بالنسبة إلى أبي ذر رضي الله عنه . وهو تصحيح لكل ما زُيِّف على أبي ذر من ادعاءات .



ص
٢٥